

مجزوءة المماليك والعثمانيين

القسم الأول المماليك

المحاضرة الثانية:

(موجز للكيانات السياسية+ التعريف بالمماليك)

السنة الجامعية: 2020-2021

المحور الأول: موجز للكيانات السياسية قبل ظهور دولة المماليك

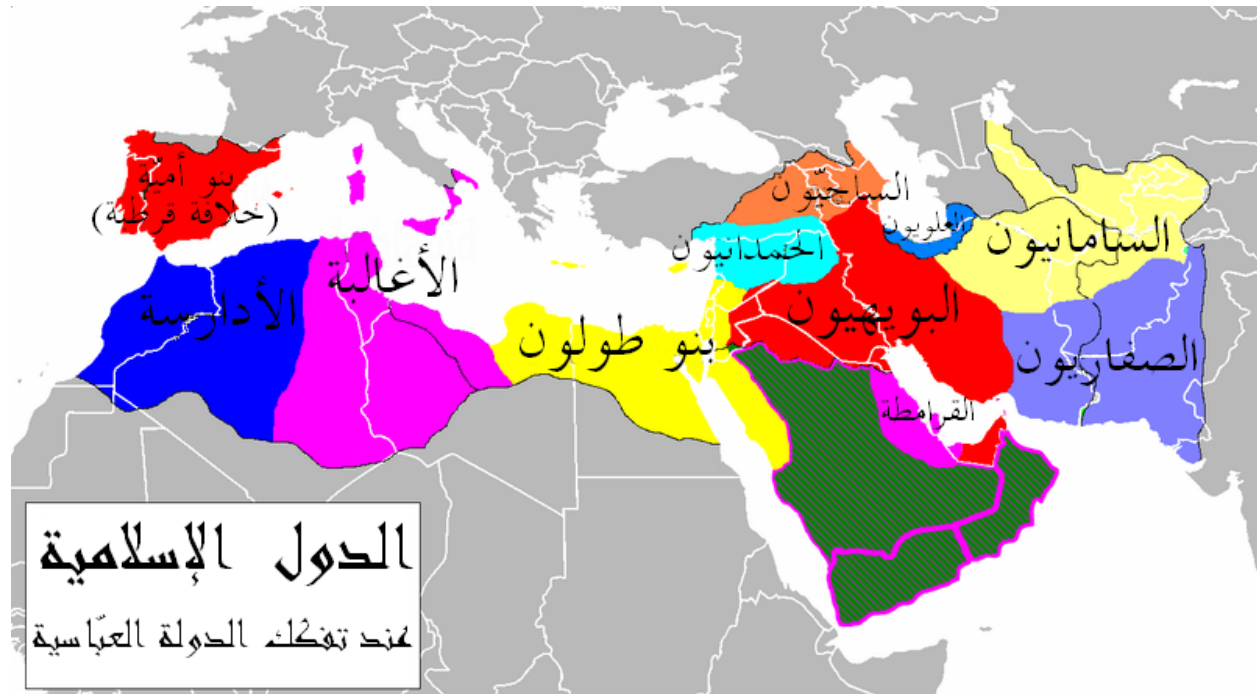
لم يشهد التاريخ الإسلامي فتراتٍ زاهرةً للدولة الإسلامية كما شهدتها فترة الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، التي تعاقب خلالها أربعة خلفاء راشدين على حكم الأمة الإسلامية بعد وفاة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وأثمرت في هذا العهد فتوحات إسلامية عدة اتسعت معها رقعة الدولة شرقاً وغرباً. وخلالها ترسخت بعض الركائز والأسس السياسية من قبيل: كيفية اختيار الخليفة أو الحاكم سواء كان ذلك بالشورى بين المسلمين، أو بقرار أهل الحل والعقد، أو كان بأسلوب مبايعة الحاكم من قبل الرعية على السمع والطاعة في المعروف، رغم قصر الفترة الراشدة زمنياً إذ قاربت الثمانية والعشرين سنة من حوالي 11هـ/ إلى 40هـ. بيد أنها حبلت بالأحداث الجسام المفصلية في حياة الأمة ككل.

ثم بعد ذلك آتت الدولة الأموية والتي استمرت من سنة 41هـ إلى 132هـ، وقد أشارنا في مقرر تاريخ الإسلام إلى أن هذه الدولة أصابها الكثير من التشويه، وكان ذلك من قبل العباسيين باعتبارهم خصوماً سياسيين، وخصوصاً وأن الذين دونوا التاريخ كانوا في أيامهم، فظهرت عدد من الكتابات التاريخية التي ركزت على أحداث حطت من مكانتهم وضخمت أخطاءهم، وسلطت الأضواء على النكبات في عهدهم، وغفلت بقصد إنجازاتهم وأخطاء معارضتهم، وهذا لا يعني أن الأمويين لم يرتكبوا أخطاء كثيرة، ومع ذلك عرف بنو أمية بالعلم والفضل، وتمت على أيديهم أعظم الفتوحات الإسلامية، فوصلوا إلى الصين شرقاً، وبلاد الأندلس وجنوب فرنسا غرباً، فبلغت الدولة الإسلامية في عهدهم أقصى اتساع لها عبر التاريخ. كما تميز عهدهم بإحياء الأرض، وشق القنوات، وبناء المدن، وازدهار العمران والتنمية الشاملة، وهي أمور تحسب لهم لا محالة. إلى أن انتهت هذه الدولة بهزيمة الخليفة مروان بن محمد في معركة الزاب في جمادى الأولى 132هـ/749م، واسدل الستار على دولة دامت حوالي 91 عاماً، وتوالى عليها فرعان السفيفاني والمرواني، وحكمها 14 خليفة.

وبعد الدولة الأموية ظهرت الدولة العباسية 132-656هـ وسميت بهذا الاسم نسبة إلى العباس عم الرسول، فمؤسس الدولة العباسية وخليفتها الأول هو أبو العباس عبد الله بن محمد

¹ - التاريخ الإسلامي الأموي، محمود شاکر، ص 55-56

بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب عم رسول الله، وقد اشتهر أبو العباس بأبي العباس السفاح. وذلك لقوله فأنا السَّقَّاح المبيح والثائر المنيح (يقصد أنه كريم جواد). وبدأت الدولة الجديدة سنة 132هـ/750م، وقد بلغ عدد خلفائها نحو سبعة وثلاثين خليفة، تعاقبوا على التوالي حكم هذه الدولة التي طال عمرها، واختلفت عصورها، وامتدت حتى سنة 656هـ/1258م؛ حيث سقطت على أيدي التتار، بعد أن عاشت خمسة قرون وربع قرن؛ اختلفت فيها العصور قوة وضعفًا...



ولعل هذا التباين والضعف أسهما بشكل مباشر أو غير مباشر في ظهور كيانات دويلات في أطراف الدولة الإسلامية² تمتع بعضها بما يمكن أن يصطلح عليه بالتعبير المعاصر "الحكم الذاتي"، إذ

² - سنركز الحديث فقط على الكيانات التي حكمت مصر دون الحديث عن كيانات أخرى على اعتبار ان الوقت الزمني لا يسمح بالوقوف تفصيلا عند كل كيان، أنظر الخريطة اعلاه ومنها:

- الدولة السامانية (261هـ-875م / 389هـ-999م) في كل من خراسان وطبرستان وسجستان وتركستان واعتمد العباسيون على أمراء البيت الساماني في إقرار سلطانها في بلاد المشرق وعلى ذلك قام السامانيون بحملات مستمرة لتأمين وصول القوافل التجارية، وحماية الأراضي الإسلامية من غزوات الأتراك.
- الدولة الصفارية: (254هـ=867م / 298هـ=911م) ظهرت في إيران حاليًا، ومؤسس هذه الدولة يعقوب بن الليث الصفار الذي بدأ حياته يتكسب من صناعة الصُّفَر (أي تصفير الأواني النحاسية) ثم انزلق من عمله كصفارًا وانطلق إلى السرقة وقطع الطرق، بعد ذلك انضم إلى أحد الفرق العسكرية التي تعمل على حماية سجستان من الفوضى، وعلت مكانته وعظم أمره وتطلع لتوسيع سلطانه، وقضى على الدولة الطاهرية ثم كتب إلى الخليفة العباسي حتى يحصل على تفويض منه بحكم البلاد التي استولى عليها، فمنحه الخليفة العباسي المعتمد تفويضًا بذلك، ومن هنا أسس يعقوب بن الليث الصفارية ولم يلبث أن وقع الصدام بالدولة الصفارية في عام 287هـ=900م، ودارت الحرب بين الطرفين وانتهت بهزيمة الأمير الصفاري عمرو بن الليث وأسر ووقوعه في يد غريمه الأمير الساماني، وأرسل عمرو بن الليث إلى الخليفة العباسي فسجنه، وظل مسجونًا حتى وفاته في عام 289هـ=902م،

احتفظت بعض هذه الأطراف بتبعية رمزية للخلافة العباسية، ومن بين هذه الكيانات نذكر:

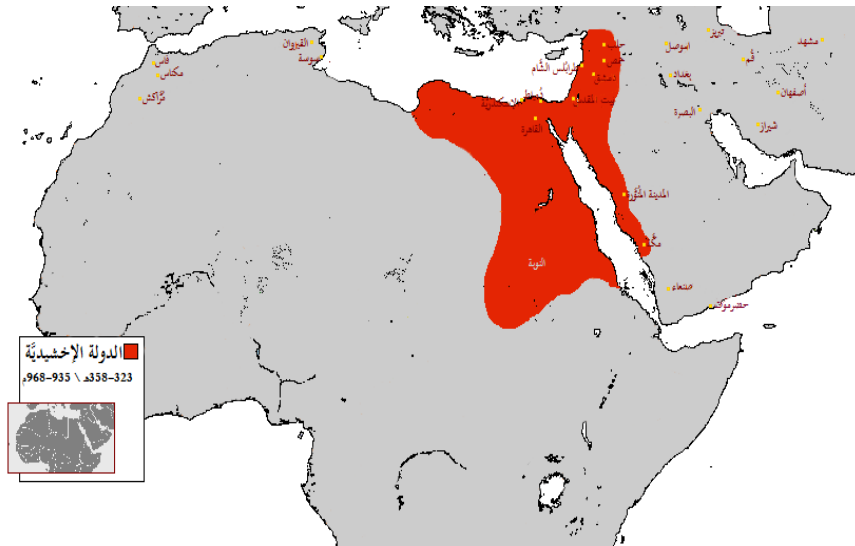
(1) . الدولة الطولونية 868 – 905، كانت الديار المصرية منذ الفتح الاسلامي الى بداية الدولة الطولونية إمارة أو ولاية تابعة للخلافة الاسلامية وكان الخلفاء العباسيون في بغداد مثل سابقهم من الخلفاء الامويين في دمشق يرسلون الى مصر الولاة لتوليها وكان اعتمادهم على خراج مصر كبيرا في ملئ بيت المال. وفي عام 254 هـ / 868 م تم تعيين أحمد بن طولون والياً على مصر وكان جندياً تركياً، وتمكن بن طولون لأول مرة في تاريخ مصر بعد الفتح الاسلامي من أن يجعل حكم مصر حكماً وراثياً في أسرته، وله شبه استقلال عن دولة الخلافة العباسية ، وقد حكم أحمد وأولاده وأولادهم مصر لمدة 38 سنة تقريباً، فولى أحمد بن طولون من قبل المعتز بن المتوكل، وأقر على مصر من المهتمدي وحين المهتمدي بن الواثق بعد خلع المعتز 255هـ، كما أقر مرة أخرى بعد بيعته المعتمد بالله بن المتوكل 256هـ، ولعل من الأسباب التي ساعدت ابن طولون على الاستقلال بالحكم عن الخلافة المركزية، واستأثره بالحكم، ثم بسط سلطانه على الشام، أولاً: ضعف قبضة الخلافة خاصة الفترة الأولى من العصر العباسي الثاني -أو ما يُسمّى بعصر نفوذ الأتراك- ظهور الدول المستقلة، وثانياً: اضطراب وعدم استقرار الأوضاع فمثلاً الانشغال بمقاومة "ثورة الزنج"³، وثالثاً: عدم كفاءة الخلفاء العباسيين وانفلات

- الدولة البويهية في إيران: (334-447هـ/ 946-1055م) ظهرت على مسرح الأحداث في أوائل القرن الرابع الهجري، وأسست دولاً انفصالية في فارس والأهواز وكرمان والري وأصفهان وهمدان، وبسطوا هيمنة فعلية على العراق، فشاركوا الخلافة العباسية في الحكم، وعظم نفوذ هذه الأسرة حتى سمي باسمها عصر من عصور الخلافة العباسية، هو العصر العباسي الثالث.
- الدولة الغزنوية، 963-1187 أخذت اسمها من مدينة غزنة إحدى المدن في أفغانستان، ويرجع ظهور هذه الدولة إلى أحد القادة المسلمين المسمى (سبكتكين)، فقد تولى منطقة غزنة من قبل السامانيين، وهيمن الدول التي كان لها بالغ الأثر في فتح البلاد ونشر الإسلام فيها، ويرى بعض المؤرخين أنه يرجع الفضل للدولة الغزنوية في تأسيس دولتي الهند وباكستان، لذلك يجب معرفة دورهم التاريخي في الإسلام. كانت الخلافة العباسية في بغداد تعترف بحكم السلطان محمود واستقلاله بالدولة الغزنوية، حتى إن الخليفة العباسي يرسل الهدايا إلى السلطان محمود تقديراً لجهوده في فتح الهند ونشر الإسلام.
- الدولة السلجوقية: دولة تركية كبرى ظهرت في القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر الميلادي)، لتشمل خراسان وما وراء النهر وإيران والعراق وبلاد الشام وآسيا الصغرى. ففي سنة 429هـ/ 1037م استولى طغرل بك على مرو حاضرة خراسان وذكر اسمه في خطبة الجمعة بلقب ملك الملوك. وفي شهر شعبان سنة 429هـ حين قيام دولة السلاجقة كان العالم الإسلامي تتنازعه الخلافة العباسية السنية في بغداد. والدولة الفاطمية الشيعية في مصر والشام، والدولة الأموية في قرطبة بالأندلس إضافة إلى ذلك كان هناك عدة دويلات أخرى أهمها الدولة الغزنوية في بلاد ما وراء النهر والهند، وكانت معظم هذه الدول تمر باضطرابات داخلية وخارجية أدت إلى تقلبات في الأوضاع السياسية، مما هيأ لدولة السلاجقة الظهور على مسرح الأحداث حتى أصبحت قوة كبيرة وهم من قبيلة قنق التركمانية، وتمثل مع ثلاث وعشرين قبيلة أخرى مجموعة القبائل التركمانية المعروفة بالغز. وفي منطقة ما وراء النهر (تركستان حالياً) استوطنت عشائر الغز وقبائلها الكبرى تلك المناطق، وعرفوا بالترك أو الأتراك.

³ - من أشهر الحركات الثورية تأتي "ثورة الزنج" في جنوب وشرق العراق في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي زمن الخلافة العباسية، ويعتبرها البعض أول حركة عمالية للرقيق خرجت مُطالبة في أول الأمر بالعدالة الاجتماعية، وتحقيق المساواة مع كبار الملاك، غير أنها سرعان ما حادت عن طريقها إلى القتل والنهب وارتكاب الفضائح، الأمر الذي جعل مؤسسة الخلافة والجيش العباسي تدخل في صدام عسكري قوي استمر 14 عاماً كاملة.

الأمر من أيديهم إلى قوادهم الأتراك الذين كانت الدولة تستعين بهم في تسيير أمورها وقيادة جيوشها. وغير ذلك من الأسباب الأخرى التي مهدت لظهور شخصيات استأثرت بالأمر في بعض المناطق دون الخليفة الشرعي، بل تدخلت أحيانا في تعيين الخلفاء وعزلهم. ولذلك لم يكن غريباً أن يستأثر بعض الولاة بما تحت أيديهم، ويُنشئوا دولاً مستقلة - وإن كانت ترتبط بالخلافة- ويحكموا من خلالها، لكن النفوذ الفعلي في الولاية كان لحكامها لا للخليفة العباسي الموجود في بغداد، ومن أبرز الدول التي ظهرت في هذا العصر الدولة الطولونية التي قامت في مصر والشام والحجاز.

(2) . الدولة الإخشيدية 935-969م وهم من سلالة تركية مستعربة، حكمت مصر وبلاد



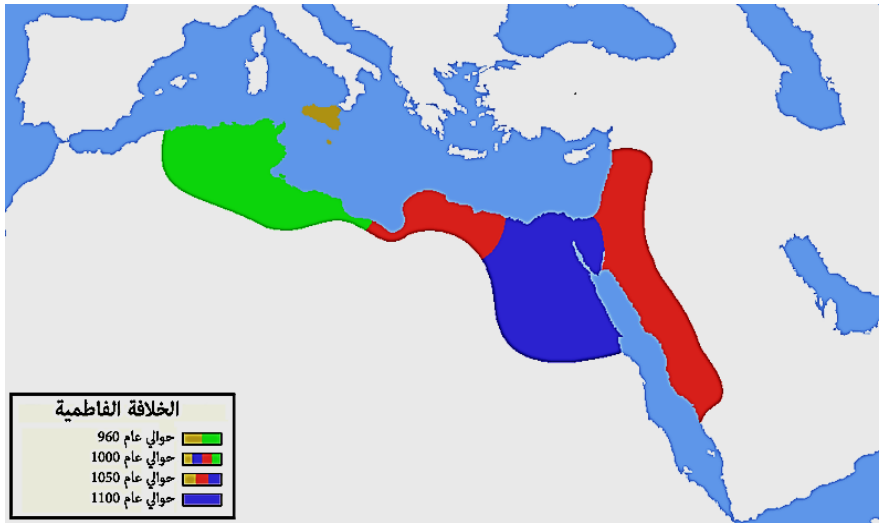
الشام من عام
935م إلى عام
968م، وكانت
عاصمتهم
الفسطاط⁴،
ويرجع أصلهم
لطاجكستان
اليوم، وتشير
الروايات

التاريخية إلى أنّ أوّل من عرف من هذه الأسرة هو جف بن يلتكين، وقد جاء جفّ إلى العراق بأمر من الخليفة المعتصم، وفي العراق انضم إلى جيش المعتصم في سامراء، وكان لجفّ هذا أولاد كُثُر، ويُعدُّ حفيد جفّ والذي كان اسمه محمد بن طغج بن جفّ مؤسس الدولة الإخشيدية، وهو مملوك تركي، عيّن والياً على مصر من قبل الخليفة العباسي أبو العباس مُحمّد الراضي بالله، فرض الأمن وضبط البلاد، وقضى على حركات المتمردين على الدولة العباسية، كما استطاع أن يكسر شوكة الاستقلال بمصر

⁴ - عندما أتم عمرو بن العاص، فتح الإسكندرية وطرد الروم من مصر، قرر أن يؤسس مدينة تكون عاصمة لمصر بدلا من الإسكندرية، فاختار أرض فضاء بين النيل والمقطم، قرب حصن بابليون، ولا تبعد عن الطريق الرئيسي المؤدي إلى الحجاز، ليبنى فيها المدينة الإسلامية الجديدة. ويقال إن هذا الموضع هو الذي كان يضرب فيه عمرو فسطاطه (والفسطاط، هو البيت - أي الخيمة - التي تتخذ من الشعر)

عن حكم العباسيين، وبسبب هذه الأعمال منح الخليفة العباسي والي مصر محمد بن طُغج تشريفًا فارسيًا وهو لقب الإخشيد، وبعد أن منحه هذا اللقب، قام الإخشيد بإعلان استقلال مصر عن الدولة العباسية، ووسَّع حدود دولته فضمَّ إليه الحجاز والشام وفلسطين وحمص والأردن، وقد كان حازمًا شديدًا فطنًا في شؤون الحرب.

(3) . الدولة الفاطمية 969-1171م، عندما أنشأ الفاطميون دولتهم في شمال إفريقيا كانت مصر تقع تحت حكم الدولة الإخشيدية، وبعد أن أحكم الفاطميون سيطرتهم على



شمال إفريقيا
بشكل فعليّ
عام 296هـ
وذلك بعد
القضاء على
دولة الأغالبة،
كان هدفهم
الأهم هو
التوسع شرقاً

نحو مصر والشام والحجاز والعراق. فقد كان المهدي متعطشاً لإرواء ظمئه التوسعي، ومنذ وصوله إلى تونس أدرك الرجل بذكائه أنها لن تستطيع أن تحقق أهدافه السياسة الطموحة خصوصاً بعد اصطدامه بعدة عقبات، أولها قلة الموارد، وثانيًا مقاطعة علماء المالكية ومقاومتهم له، ثم بسبب الطبيعة الجغرافية الجبلية للشمال الأفريقي. لذا أدرك الفاطميون تماماً أنهم إذا أرادوا أن يكونوا الحكّام الوحيدين للعالم الإسلامي فليس أمامهم حل سوى التوجه إلى مصر خاصة وأن العالم الإسلامي في حاجة ماسة إلى مركز متوسط يتولى قيادته، وموقع مصر الإستراتيجي أهلها لهذا الدور، فجهز الفاطميون مئة ألف مقاتل وعلى رأسهم جوهر الصقلي وسار بهم إلى مصر، وفي مصر واجه جوهر الصقلي جيشاً جمعهُ الحاكم الإخشيدي أبو الفوارس بن الإخشيد وهزمه بسهولة كبيرة، ودخل مصر وسيطر على كلِّ مدنها دون مقاومة تذكر، وقد استقبل

الناس الفاطميين بالترحاب والرضا بسبب ما قاساه شعب مصر من الجوع والفقر في زمن الإخشيد، وبعد دخول مصر أمر جوهر الصقلي القائد الفاطمي ببناء مدينة القاهرة وجعلها مستقر جنوده، ومقر حكم الفاطميين عام 362 هـ 972م. أما عن سقوطهم فقد كان لنور الدين زنكي دور كبير فيه، وذلك عندما أرسل جيش لحماية مصر من الخطر الصليبي، وكان على رأس هذا الجيش صلاح الدين الأيوبي مؤسس الدولة الأيوبية فيما بعد.

(4) . الدولة الأيوبية 1171-1260م بنو أيوب هم سلالة من أصول كردية، تولت الحكم في



مصر والشام وأجزاء من العراق وكذلك في الحجاز واليمن، ويعود نسب الأيوبيون إلى أيوب بن شاذي من قبيلة الروادية⁵، وقد كان أول مقر هذه السلسلة الحاكمة في القاهرة على يد مؤسسها أيوب، والذي

كان قائداً عسكرياً في خدمة دولة الزنكيين،⁶ فكانت بداية أمره والياً على تكريت، وبعد ذلك والياً على دمشق. ثم أصبح أخوه أسد الدين شيركوه، ونجله صلاح الدين في خدمة الحكام الفاطميين في مصر. فصار صلاح الدين سنة 1169 وزيراً لآخر خليفة فاطمي. ثم تمكن من القضاء على حكمهم سنة 1171، وقام بتوحيد مصر والشام، ثم امتد حكمه

⁵ - الرواديون من سكان أذربيجان وتبريز كانوا من العرب بل من العرب اليمانيين من قبيلة الأزد المعروفة. ولكنهم بمرور الأيام ولكونهم قلة في تلك المنطقة أخذوا الطابع الكردي في بعض أحوالهم. موسوعة الدول الإسلامية ورجالها، مصطفى شاكر، دار العلم للملايين. بيروت صفحة 482.

⁶ - الدولة الزنكية أو الإمارة الزنكية أو الدولة الأنطاكية أو دولة الأنطاكية، وتُعرف اختصاراً وفي الخطاب الشعبي باسم الزنكيون أو الأنطاكية، هي إمارة إسلامية أسسها عماد الدين الزنكي في الموصل، وامتدت لاحقاً لتشمل كامل الجزيرة الفراتية والشام، ثم بلغت مصر في عهد الملك العادل نور الدين محمود، الذي ضمها على يد تابعه وربيه يوسف بن نجم الدين الأيوبي (صلاح الدين فيما بعد). بعد وفاة آخر الخلفاء الفاطميين أبو محمد عبد الله العاضد لدين الله دون عقب. تُنسب الدولة الزنكية إلى مؤسسها عماد الدين الزنكي بن آق سنقر، وأما تسميتها بالأنطاكية فنسبة إلى «أنابك»، وهو لقب كان يُلقب به مُربو أبناء سلاطين السلاجقة، ويعني «مربي الأمير»، وهو لقبٌ منحوتٌ من كلمتين: «أنا» بمعنى «أب» و«بك» بمعنى «أمير»

إلى مناطق شمال النهرين دجلة والفرات، ثم قاد الحرب ضد الصليبيين وتمكن من تحرير القدس عام 1187 بعد معركة حطين. ويعود لنور الدين الزنكي الفضل في صعود الأسرة الأيوبية. ولعل مؤسس الدولة الأيوبية البطل الإسلامي العظيم صلاح الدين الأيوبي إذ استطاع توحيد مصر والشام، وتزعم الجهاد ضد الممالك الصليبية وحقق انتصارات كبيرة، ومن أشهرها حطين 583هـ، وبعدها فتح بيت المقدس بثلاثة أشهر، وقد ترك صلاح الدين الأيوبي رحمه الله دولة قوية عظيمة، تبسط سيطرتها على مصر والشام والحجاز واليمن وأعالي العراق، وأجزاء من تركيا، وأجزاء من ليبيا والنوبة، وحاصر الصليبيين في ساحل ضيق جداً على البحر الأبيض المتوسط في الشام، ولم يستطع فتح كل الإمارات الصليبية فيه، ولكنه حرر جزءاً كبيراً من الشام ومن فلسطين. وبوفاته تقلص دور الجهاد، فقد فتن أبناءه باتساع الدولة، وكثرة أموالها، وهو ما عجل بانقسامات شديدة في الدولة أدت لتفككها تماماً بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي، ولم تتحسن الأمور إلا بمجيء السلطان الصالح نجم الدين أيوب⁷ سنة 637هـ، فقد كان الرجل أفضل السلاطين الأيوبيين وتزامنت فترة حكمه مع أوكيتاي التتاري الذي اجتاح العالم الإسلام وأوربا..

وخلاصة القول، ففي رحم بني أيوب ستظهر على مسرح الأحداث دولة جديدة هي دولة المماليك (648هـ/1252م-922هـ/1517م) ولعل هذا العامل الأخير هو المسؤول عن هذا التشابه الكبير والواسع بين الدولتين. إذ ظل المماليك متمسكين بإرث أساتذتهم ومعلمهم الأيوبيين، وما خلفوه من نظم قانونية وسياسية خارجية. ولهذا فإن دراسة الدولة المملوكية، أو العصر المملوكي يطرح تحدياً كبيراً على الطلبة في التمييز بين ما هو خصائص خالصة للدولة المملوكية، أي الصورة الحقيقية للدولة المملوكية وعصرها، وتلك التي تمتد جذورها في عمق العهد السابق لها، أي العهد الأيوبي. ولهذا فإن وقوفنا هنا على دراسة العصر المملوكي لن يخلو من إشارات متكررة للتجربة الأيوبية ضمنياً حتى نهاية دولة المماليك. إذن، فمن هم المماليك؟ ولما سموا بهذا الاسم؟ وما أصلهم؟ وخصائصهم؟... تساؤلات كثيرة، سنحاول الإجابة عن بعضها في المحاضرات المقبلة.

⁷ - هو نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب الملقب بأبي الفتح، وهو سابع سلاطين الأيوبيين في مصر، ولد في القاهرة عام 603 هـ، 1206 م، وكانت أمه جارية سوداء تدعى "وردى المني". في الثانية والعشرين من عمره جعله أبوه على حكم مصر وأعطاه ولاية العهد ووصفه بالملك الصالح حين خرج بجيشه إلى الشام لحصار الناصر داود

المحور الثاني: دولة المماليك الأصل والتسمية.

أولاً: تسمية المماليك وخصائصهم

1- التسمية:

إن كلمة مملوك في اللغة تعني: العبيد الأرقاء، وهي مرتبطة بتعبير القرآن الكريم "ما مَلَكَت أيما نكم"، وقد اتَّخذت مع الاستعمال ومرور الزمن معنى اصطلاحياً، فأصبحت تُطلق على الرقيق



الأبيض دون العبيد السود، الذين يُجلبون لاستخدامهم كجُند محاربين. إذن فالمماليك هم الرقيق، وخاصة أولئك الذين سبوا ولم يسب أبأوهم ولا أمهاتهم، وجمع المملوك هو مماليك وهو العبد الذي يباع ويشترى، فالعبد الذي سي أبواه يعرف بالعبد القن وليس بالمملوك.

وقد ذكر المقرئ في كتابه "الخُطط" أنّ هؤلاء المماليك كانوا يُجلبون صغاراً، لم يبلغوا الحُلُم، فيقيمون في طوابق القلعة، ويتعلّمون

القرآن الكريم والفقه، والأدكار واللغة العربية، فإذا وصلوا سنّ البلوغ بدؤوا في تعلّم فنون القتال؛ من رمي، وطعن، وضرب.

إذن، هؤلاء المماليك قَدِموا إلى مصر أطفالاً صغاراً بين السابعة والثانية عشرة، قبل أن

تتحدّد انتماءاتهم، وتتكوّن مشاعرهم وثقافتهم، فقد كانوا في سنّ التعليم والتلقين والنمو، فساعد ذلك على التّخامهم بموطنهم الجديد مصر، ومثال ذلك المؤيّد شيخ⁸ الذي اشتراه السلطان "برقوق" وهو في السابعة من عُمره، ثم صار بعد ذلك سلطاناً، وكان المماليك في هذه المرحلة من العُمر يُسمون بالمماليك "الكُتّابيّة"؛ نسبة إلى "الكُتّاب"، وهو مكان لتعليم الصغار القراءة

والكتابة؛⁹ مما

يُشير إلى أنهم في

سنّ التعليم

الأولى. ومع أن

لفظ المماليك

بهذا التعريف

يعدّ عاماً على

معظم الرقيق،

إلا أنه اتخذ

مدلولاً

اصطلاحياً



خاصاً في التاريخ الإسلامي، فمنذ عهد الخلفتين العباسيين المأمون والمعتصم اللذين استجلبا أعداداً ضخمة من الرقيق الأبيض عن طريق الشراء من أسواق النخاسة، واستخدامه كفرق عسكرية خاصة وسرعان أصبحوا الأداة العسكرية القوية في البلاد الإسلامية.

⁸ - السلطان المملوكي المؤيّد شيخ المحمودي حكم مصر وبلاد الشام في أوائل القرن الخامس عشر، وكان له دور فعال في عهد أسلافه حتى تولى العرش بنفسه في نهاية المطاف، وبنى مجمّعاً دينياً وجنائزياً رائعاً خلف البوابة الجنوبية لمدينة القاهرة المعروفة بباب زويلة. وعمارة هذا الجامع مع زخارفه وكتاباتاته الفريدة آية من آيات جمال الفن الإسلامي، ويقول المؤرخ المقرئزي: هو الجامع لمحاسن البنين والشاهد بفخامة أركانه وضخامة بنائه، وكان منشئته سيد ملوك الزمان. والجامع عبارة عن تحفة معمارية ويتميز بطرازه الفريد، ويتكون من صحن داخلي ضخم نصفه مسقوف، ويتميز الجامع بقبة داخلية ضخمة يبلغ ارتفاعها نحو 40 متراً، ويتوسط صحن المسجد مiazza دائرية تستخدم في أغراض الوضوء وله 4 واجهات. ويشار إلى أن لبناء وتأسيس هذا الجامع قصة غريبة للغاية، حيث كان الأساس سجناً ثم تحول إلى ما هو عليه الآن. ، قد قتل هذا السلطان ابنه إبراهيم بالسم، بعد أن أخبره أحد الموظفين لديه بأن الأمراء يرغبون في إقامة ابنه سلطاناً بدلاً منه، ودفنه داخل القبة في الجامع الذي بناه، وفي نفس العام مات السلطان، ودفن إلى جوار ابنه.

⁹ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردى، قدم له وعلق عليه. محمد حسين شمس الدين، ج: 14، دار الكتب العلمية، بيروت. . الطبعة الأولى، 1992. ص: 37.

2- خصائص المملوك وميزاته:

ولعل من خصائص المماليك أنهم لم يعاملوا معاملة الرقيق، بل تمتّعوا بامتيازات عالية، وكان يُحزّرون ويُعتقون، ويتولون أرقى المناصب، ويشعرون أنّ السلطان واحدٌ منهم، ومع مرور الوقت أصبحوا سلالة من الجنود حكمت مصر والشام والعراق وأجزاء من الجزيرة العربية أكثر من قرنين ونصف القرن وبالتحديد من 1250 إلى 1517 م. وكانت ثقافتهم وتربيتهم تعتمد على التعليم الديني والعسكري، ويُخصّص لهم معلّمون للسباحة والرمي، والمبارزة ولعب الكرة، وكان التفوق الحربي والموهبة العسكرية هي التي تفتح لهم طريق الترقى إلى نيابة السلطنة أو السلطنة نفسها.

ويختلف المماليك عن العبيد؛ في لونهم الأبيض وتربيتهم العسكرية، وعلاقتهم بأستاذهم، فلم يعاملون في بعض الفترات معاملة العبيد بل معاملة الأستاذ لتلميذه، أو الأب لابنه، الشيء الذي أهلهم للوصول للمراتب العليا، وكانوا يحصلون على الحرية والعِتق بعد إتمام دراستهم، ويكون العتاق بالجملة في احتفال خاص يحضره السلطان والأمراء، ويحصل المملوك على شهادة خاصة تُسمّى "إعتاق" أو عتاقه¹⁰، ويُسمى "معتوقاً"، ويسمى مُعتقه "أستاذه"، ويُسمى رفاقه المتخرّجون معه "خشداشية"¹¹، وكانت علاقة كل مجموعة من المماليك الذين ينتمون إلى سيد (أستاذ) واحد فيما بينهم، هي علاقة الخشداشية؛ أي: الزمالة والصدّاقة.

لا شك أن السلطة قديماً كانت قائمة على فكرة السلالة ووراثة الحكم، إلا استثناءات بسيطة، وضمن هذه الاستثناءات كانت دولة المماليك. لم يكن الحُكم في السلطنة المملوكية وراثياً، فالمماليك ليسوا من عائلةٍ أو بلدٍ واحد، لكنهم أناسٌ مستجلبون قسراً من بقاعٍ شتى، حتى ورثوها. وهذا المملوك "المستجلب من بلاده في أوقاتٍ كثيرةٍ وهو طفل" كان بحاجة إلى أخٍ وأبٍ وأمٍ ورثوها.

¹⁰ - دولة المماليك ، سمير فراج ، ص. 32. تاريخ المغول وغزو الدولة الإسلامية ، مركز الكتاب الأكاديمي ، ص: 305.

¹¹ - لفظ فارسي معناه الزميل في الخدمة. و الخشداشية: هم الأمراء الذين نشأوا مماليك عند سيد واحد ، فنبتت رابطة الزمالة ، و كان لهذه الرابطة أثرها في حوادث المماليك ، و يرجع هذا الأثر إلى قلة الروابط بين المماليك ، فكانوا يجلبون من مختلف أسواق النخاسة ، و ليس بينهم رابطة سوى ما يحدث لأحدهم من أمور و شؤون مثل أن ينشأ عدد منهم عند سيد واحد. ومنه . الخشقدمية: هم المماليك من مشتريات السلطان السابق الجيدين : خوشقدم وتصف كتب التاريخ المماليك بأنهم كانوا يجمعون ما بين الفضيلة والرذيلة على حد سواء، فضيلة العلم الذي تلقوه والإتقان الذي كانوا يتدربون عليه، وفي نفس الوقت الرذيلة المتمثلة في غدرهم بأسيادهم وحبهم للسلطة والمال. وتجسدت قوة المماليك في رابطتهم "الخشداشية" التي كانت توجد بقوة أفراد هذه الطبقة ضد الطبقات الأخرى داخل المجتمع ، ولعل أقرب مصطلح معاصر لهم هو خدام الدولة... ويجوز أن هذا الأمر ترك أثراً في حياة المصريين إلى الآن، فمن المقولات الشائعة لديهم: "اللي يتجوز أمي أقوله يا عمي". فيشير ابن تغري بردي إلى الأمير قرقماس الأشرفي (ت 1468/873- الذي تزوج من مليكة الأشرفية (ت 1456/860)، أرملة السلطان الأشرف برسباي وأم أحمد بن الأشرف برسباي (ت 1463/868)، ك"عم" ل"أحمد.

وأسرة حاضنة، خاصة وهو يعيشُ غربياً في بلادٍ ليست ببلادِهِ.

إضافة إلى ما سبق، أصبحت لهم مراتب عسكرية، فمنهم أمير المائة ومقدم الألف، وأمير الطبلخانة¹² وهو الذي يقود ما بين الأربعين إلى الثمانين فارساً، وأقل الأمراء هم أمراء العشرات والخمسات. وكانت جزيرة الروضة مقرّاً لهؤلاء المماليك في عهد الملك الصالح، فلَمَّا تَوَلَّى السلطنة المعز أيبك، نقلهم إلى قلعة الجبل إلى أن تَوَلَّى الظاهر بيبرس، فأعاد بناء قلعة الروضة، وأعاد المماليك إليها واستمرّ الحال كذلك حتى سنة 679هـ عندما تَوَلَّى السلطان قلاوون الألفي، فأسكنهم بصفة نهائية في قلعة الجبل وأبراجها، فعُرفوا منذ ذلك الحين بالمماليك البرجية.

كما كان أغلب المماليك يوضعون في أماكن خاصة في القلعة تُعرف "بالطباقي أو الأطباقي"، جمع طبقة أو طبق، ويُقصد بها المدارس أو الثكنات العسكرية¹³، وكانت هناك أطباقي أخرى خارج القلعة، وكان بعضها كبيراً يضمُّ ألف مملوك، وكان المماليك يعرفون "بالطباقيّة والكتباقيّة"؛ لأنهم يدخلون الطباقي ويتعلمون الكتابة، وكان يشرف على تعليمهم الفقهاء والمؤدبون والمدرّبون، ويعوّدونهم على التمسُّك بالدين والتزام الصلاة، ويُعاقب المخالفون منهم عقوبات قاسية...

ثانياً أصول المماليك:

أما عن أصول المماليك فتعود إلى آسيا الوسطى وعادة ما ينسبون إلى القبائل الضعيفة بوسط آسيا (الأتراك) والقوقاز (الشراكسة)، خصوصاً تلك التي كانت تزدرى أولادها ولا ترى غضاضة في بيعهم للنخاسين مقابل أثمانٍ باهظة بالنسبة لهم وقليلة بالنسبة للمشتري.

إذن، فقد كان المصدر الرئيسي لجلب هؤلاء المماليك هو بلاد تركستان في وسط آسيا، وكان الترك يُعرفون بقوة الأجساد وإجادة القتال، وبدأ استقدامهم في العصر العباسي، عن طريق الأسر في الحروب أو الشراء من تجّار الرقيق،... وكانوا يجلبون من بلاد ما وراء النهر، والمعروف أن الأعراق التي تعيش في تلك المنطقة أعراق تركية في الغالب، وهذا لا يمنع من وجود مماليك من أعراق

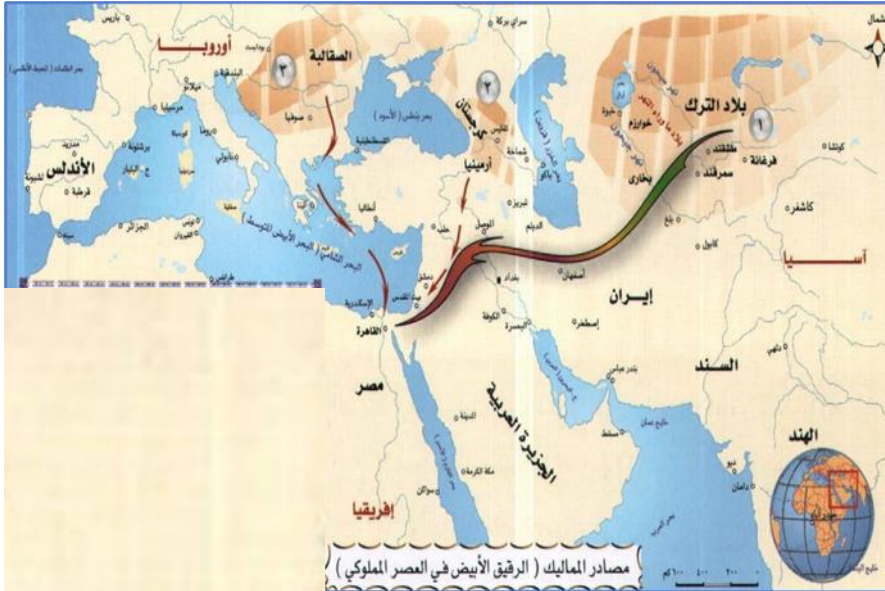
¹² الطبلخانة أي مكان الطبل أو محل الطبل، وهو ما يعرف اليوم بموسيقى الحرس الجمهوري أو الملكي، وكان تعتبر رمز من رموز السلطة المملوكية! وفي مصر مكان يعرف الطبلخانة في قلعة الجبل المعروفة بقلعة صلاح الدين الأيوبي، وهي توجد في الممر الضيق المؤدي إلى باب العزب، وفيه حدثت مذبحه المماليك، أما أمير الطبلخانة فهو الأمير الذي يجق له أن تُضرب له فرقة الطبلخانة على بابه. كانت فرقة الطبلخانة تضرب الطبول في مناسبات معينة، وفي الأعياد، وعند تنصيب السلطان، والاحتفال بالإنجازات العسكرية، وغيرها. حين كان يخرج المماليك للقتال، وتوقف دق الطبلخانة بسقوط دولة المماليك ودخول العثمانيين مصر، أي منذ دخول السلطان سليم الأول عام 1517، فلم تدق الطبلخانة لخاير بك بعد أن كلفه السلطان بولاية مصر. ويذكر القلقشندي في صبح الأعشى أن تحت إمرة أمير ما بين أربعين وثمانين، والطبلخاناه هي طبول متعددة معها أبواق ومزامير تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص، ويكون الحق للأمراء الطبلخانان أن ترافقهم الطبول، انظر صبح الأعشى، ج: 4، ص: 7-8.

¹³ - الطباقي : ثكنات المماليك، أشرف صالح محمد سيد-3762----mameluks-barracks-v15- http://nashiri.net/articles/literature-and-art/3762

أروبية أو أرمنية، أو حتى من أصول منغولية... وللإشارة فالمنطقة كانت على الدوام مسرحا للقتال وعدم الاستقرار ولذلك كثر الأسرى القادمون من هذه المنطقة وكثرت أسواق الرقيق هناك فوجد

سمرقند، فرغانة، خوارزم...

إذن كيف نظر المؤرخون القدامى والمعاصرين لقضية أصول المماليك.. هل اعتبروهم عنصرا وطنيا أم كيانا محتلا؟¹⁴ وهل تمصّر المماليك طوال مدة حكمهم التي قاربت القرنين ونصف القرن، وكيف رآهم مؤرخو



العصر المملوكي الكبار مثل العلامة المقريزي وابن تغري بردي وابن حبيب وابن حجر وغيرهم؟ لا شك أن هذه القضية تعد من القضايا الشائكة التي اشتد النقاش حولها في الأونة الأخيرة، خصوصا بعد عرض مسلسل "ممالك النار"¹⁵ الذي أثار جدلا واسعا صوّرت فيه الدولة العثمانية كمملكة شيطانية هدفت إلى احتلال الأقطار العربية، وتدمير مقدراتها الوطنية، وجعلها في صورة من التبعية المطلقة، بواسطة سلطان شرير محب للدماء والشر منذ نعومة أظفاره هو السلطان سليم شاه الأول،¹⁶ هذا مع تصوير المماليك حكام مصر بالعناصر الوطنية النبيلة التي دافعت عن وطنها بدمائها، فكان السلطان الأخير طومان باي الثاني¹⁷ (ت 923هـ/1517م) في نظرها رمز التحرر المصري من قبضة العثمانيين المحتلين الغاشمين.

¹⁴ - إبراهيم أحمد، أصول المماليك.. هل كانوا عنصرا وطنيا أم كيانا احتلاليا لمصر والشام؟ (مقال).

¹⁵ - المسلسل أنفق عليه 40 مليون دولار، وبطاقم تصوير عالمي على رأسه المخرج البريطاني بيتر ويبر، وبطولة الممثل المصري خالد النبوي، وتمويل وإنتاج شركة جينوميديا الإماراتية، أسقط الأحداث والتكتلات السياسية والإقليمية الحالية بين تركيا من جانب والإمارات من جانب آخر، ووصفه البعض بأنه محاولة لتأصيل العداء بين الشعبين المصري والتركي وغاب عنه تقديم إجابة صحيحة عن عدة تساؤلات جادة وأصيلة.

¹⁶ - وأول من حمل لقب "أمير المؤمنين" من آل عثمان. حكم الدولة العثمانية من سنة 1512 حتى سنة 1520. [1] يُلقب "بالقاطع" أو "الشجاع" عند الأتراك نظراً لشجاعته وتصميمه في ساحة المعركة، ويُعرف بالغرب بأسماء سلبية، فعند الإنكليز مثلاً سمي "سليم العابس"، نظراً لما يقوله بعض المؤرخين بأنه كان دائماً متجهماً الوجه. وعند الفرنسيين عرف باسم سليم الرهيب. وعندما عين "طومان باي" سلطاناً للمماليك بمصر أرسل إليه السلطان سليم يعرض عليه الصلح بشرط اعترافه بسيادة الباب العالي على القطر المصري، فلم يقبل وقتل المبعوثين العثمانيين، واستعد لملاقاة الجيوش العثمانية عند الحدود. وبناءً على هذا، عزم السلطان سليم على قتال طومان باي، فاشترى عدّة آلاف من الجمال وحملها مقادير وافرة من المياه ليشرّب منها جنده وهم يجتازون الصحراء إلى الأراضي المصرية، واستطاع هزيمة المماليك بناير 1517.

¹⁷ - الأشرف أبو النصر طومان باي آخر سلاطين المماليك الشركاسة في مصر، فهو السلطان الوحيد الذي شنق على باب زويلة. استلم الحكم بعد مقتل عمه السلطان الغوري بموقعة مرج دابق بعد أن عينه نائباً له قبل خروجه لقتال العثمانيين، وبعد قتله أجمع الأمراء على اختياره سلطاناً لمصر.

ويتفق معظم هؤلاء المؤرخين المعاصرين لعصر المماليك على أن المماليك كانوا أتراكا أقحاحا، وأن دولتهم كانت دولة "تركية"، فقد وضع العلامة المقريري (ت 845هـ) في "مواظف الاعتراف بذكر الخطط والآثار"¹⁸ المشهورة بـ "خطط المقريري" الذي تناول أحوال الاجتماع البشري في مصر، بالإضافة إلى أخبار تتعلق بالجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والديموغرافية والعمرائية والثقافية، ونقده للفساد الذي أصاب الدولة المملوكية وأدى إلى خراب البلاد، كما خص فصلا بعنوان "ذكر جيوش الدولة التركية وزبها وعوايدها" تناول فيه خصائص ومزايا وسمات هذه الدولة التي عاصرها وعاش بين جنباتها سنين عددا، فيقول: "كانت جيوش الدولة التركية بديار مصر على قسمين، منهم من هو بحضرة السلطان، ومنهم من هو في أقطار المملكة وبلادها وسكان بادية كالعرب والتركماني. وجندها مختلط من أتراك وجركس وروم وأكراد وتركماني، وغالبهم من المماليك المبتاعين، وهم طبقات، أكبرهم من له إمرة مئة فارس، وتقدمة ألف فارس، ومن هذا القبيل تكون أكبر النواب (الولاء)".

وأرخ القلقشندي (الذي توفي 821هـ) في "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" لدهاليز ونظم دولة المماليك فيشير إلى أن نظم دولة المماليك التي عمل في دواوينها تعتمد "من ابتداء الدولة التركية وإلى زماننا على رأس الثمانمئة مما أكثره مأخوذ من ترتيب الدولة الأيوبية، التي هي أصل الدولة التركية.

أما المؤرخ ابن الدواداري (ت بعد 736هـ) وهو من عناصر المماليك التركية، وخصص الجزء الثامن فيكتابه "كنز الدرر وجامع الغرر"، لتأريخ دولة المماليك الأتراك التي عنون لها بـ "الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية".

وحتى المؤرخون المعاصرون حسموا هذه القضية، وعلى رأسهم رائد الدراسات المملوكية وهو الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور الذي يقول: "المعروف أن المماليك لم يحاولوا -عادة- الاختلاط بالمصريين، ولم يتأثروا بنظمهم وعوائدهم إلا في حالات قليلة وبقسط محدود. وقد ساعد على هذه العزلة وترتب عليها أن طبقة المماليك أكثرت من شراء الرقيق حتى تكون لهم عصبية يعتمدون عليها في حكم البلاد. ويرتبط بالمماليك الوافدية الذين هاجر معظمهم من بلاد المغول إلى مصر مستأمنين أحرارا لا أجلابا مملوكين، وهكذا حدث في ذلك العصر أن ملأ المغول مصر

¹⁸ - يمكنكم العودة إلى دراسة مختصرة جدا للكتاب وهي بعنوان المقريري ومنهجه في كتابه (المواظف والاعتبار بذكر الخطط والآثار)، خلدون خليل، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية العدد 2 المجلد: 2، سنة 2019، صص 283-298.

وانتشرت بها عاداتهم وطرقهم، فظهر من الأطعمة في مصر ما لم يكن معروفا قبلهم وسموها بأسماء من لغتهم، وانتشر أكل لحوم الخيل في المهام والأعراس والحفلات، وشغف الناس بألعاب الرياضة والفروسية واقتناء الخيول، حتى اقتناها وسابق عليها بعض رجال الدين.¹⁹ ويذكر الدكتور البطاوي "المماليك حكّام البلاد عزلوا أنفسهم عن عامة الشعب، وظلّوا يُمثّلون طبقة متميزة".²⁰

وعليه يمكن القول، أن جل المؤرخين لعصر المماليك يكادون يُجمعون على حسم هذه القضية منذ بداية التأريخ الحديث لها، إذ يؤكد المؤرخ المصري محمد مصطفى زيادة أن المماليك كانوا طبقة أوليغاركية²¹ "حكم أقلية" لها سمات ميّزتها وحرصت على أن تُميّزها طوال حكمها لمصر والشام مدة قرنين ونصف القرن قاتلاً: "أما العوامل الداخلية التي مكّنت لهذه الدولة (المملوكية الثانية من الشركس) استمرارها. رغم قصور سلاطينها عن مستوى سلاطين الدولة الأولى (الأتراك)، فلا مشاحة أن أول هذه العوامل هو أن المماليك سيطروا على جميع الوظائف العسكرية والإدارية كما سيطروا على وظائف البلاط السلطاني، ثم إنهم حرصوا -ابتداء من السلطان (في القمة) إلى المملوك المجلوب حديثاً (في قاع الطبقة)- أن يظلوا طبقة أوليغاركية (أقلية) ممتازة منعزلة عن سائر أهل مصر والشام وغيرها من الولايات المملوكية، ومن هذه الطبقة تألفت فئات الجهاز العسكري الوحيد في البلاد، وأدركت هذه الطبقة ضرورة التكتل والتماسك بين أجزائها، وعرفت كيف تحصر ما وقع من منازعات داخلية في دوائرها المملوكية، ولم تلتمس في هذه المنازعات مساعدة المصريين أو البدو بالأقاليم، ولم تقبل أن يتدخل فيها جيرانها".²²

وخلاصة القول، أن أصل المماليك عبارة عن تجمعات مختلفة من أماكن كثيرة، فهم من جنسيات متعددة ومختلفة منها بلاد التركستان، وشبه جزيرة القرم، وبلاد القوقاز، وآسيا الصغرى، وبلاد ما وراء النهر....

في عام 648 هـ سقطت دولة الأيوبيين لتحل محلها دولة المماليك، وكان ذلك عندما تأمرت

19 - سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة 1987.

20 - حسن البطاوي أهل العمارة في مصر عصر سلاطين المماليك". عين للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى 2007م، ص: 3.

21 - الأوليغاركية هي حكم قلة طبقية ذات طابع قبلي أحياناً تستند قوتها السياسية إلى الروابط الشخصية والعائلية التي تعني التوحد وتدعم السلطة والنفوذ كوجهين متقابلين لعملة واحدة هي الهيمنة على المجتمع بأسره دون حاجة إلى استقطاب أغلبية مؤيدة في مقابل أقلية معارضة، ويجعل هذا النظام كل مقدرات الدولة وطريقة عملها تسير وفقاً لمصالح وأهداف هذه الفئة. وقد ذكر مكيفيللي في كتابه المطارحات ضمن ستة أنظمة سياسية، مطارحات مكيفيللي، تعريب خيري حماد، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت. الطبعة الثالثة، 1982.

22 - نقلا عن إبراهيم أحمد، أصول المماليك.. م س.

شجرة الدر مع المماليك على قتل توران شاه آخر حكام الدولة الأيوبية. وبدأ الحكم في دولة المماليك بيد شجرة الدر²³ بشكل مبدئي حسب إحدى الروايات التاريخية، وذلك قبل أن يستقروا بمصر ويأسسوا دولتين متعاقبتين البحرية والبرجية، وكانت عاصمتهم هي القاهرة، ونظراً لتعدد أنواع المماليك فإنهم قد إنقسموا إلى قسمين:

الأول: سموا بالمماليك البحرية: وهم الذين جلبهم الملك الصالح نجم الدين²⁴ وبني لهم قلعة بجزيرة الروضة واختار منهم فرقة للأسطول سميت الفرقة البحرية ولذلك سموا المماليك البحرية. أما الثاني: فسموا بالمماليك البرجية: وهم شراكسة²⁵ اشتراهم السلطان قلاوون²⁶ لتدعيم حكمه، وتم له ما أراد إلى أن استولوا هم على الحكم من أحفاده الذين جاءوا بعده. وسموا بالبرجية لأن السلطان قلاوون أسكنهم في أبراج.

وسنحاول في محاضرة لاحقة الوقوف عند هذين القسمين.

²³ - كانت شجرة الدر جارية السلطان العادل أيوب وأم ولده خليل الذي مات صغيراً، وهي التي وقفت بجوار الأمير الكبير فخر الدين بن الشيخ في الفترة ما بين موت الصالح أيوب ومجيء المعظم تورانشاه التي استمرت خمسة وسبعين يوماً تُدبر معه أمر العسكر وشؤون الحكم، كل هذا أعطاها أولوية لدى القيادة العسكرية للمماليك وبقيت الأكراد والقيصرية في مصر لأن يُسلموا لها زمام الحكم المشكلة الأولى فقد تمثلت في عدم اعتراف الأيوبيين في الشام فضلاً عن كبار أمراء الصالح أيوب في دمشق بهذا الواقع السياسي الجديد، الذي لا يعطي السلطة لامرأة فقط، بل ويعطي القوة السياسية والعسكرية المطلقة للمماليك الأتراك، والمشكلة الثانية تمثلت في رفض مؤسسة الخلافة العباسية وعلى رأسها الخليفة المستعصم لهذا الأمر والاستهزاء به، ومن ثم عدم اعترافه بما حدث، فلم يُرسل منشوراً أو خلعة وسيفا وعمامة لرأس النظام الجديد، وهي الوسائل اللازمة لإضفاء الشرعية على الحاكم الجديد في نظر الرعية، بل أرسل إلى مصر يقول: "إن كانت الرجال قد عمدت عندكم فأعلمونا حتى نسير إليكم رجالاً"، المشكلة الثالثة فهي بروز الطبقة المملوكية إلى سطح السلطة وممارسة شؤون السياسة بصورة فجائية إثر انقلاب على الأيوبيين، ولم تكن لهذه الطبقة خبرة كافية لإتمام واستتباب هذا الأمر

²⁴ - هو نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب الملقب بأبي الفتح، وهو سابع سلاطين الأيوبيين في مصر، ولد في القاهرة عام 603 هـ، 1206 م، وكانت أمه جارية سوداء تدعى "وردى المني". في الثانية والعشرين من عمره جعله أبوه على حكم مصر وأعطاه ولاية العهد ووصفه بالملك الصالح حين خرج بجيشه إلى الشام لحصار الناصر داود

²⁵ - الشركس مجموعة شعوب تشمل سكان شمال القوقاز من شيشان وأفار وغيرهم. كنتيجة للحروب التوسعية التي شنتها الإمبراطورية الروسية في المنطقة أُضطرَّ الكثير من الشركس إلى الهجرة إلى الأراضي العثمانية أو الروسية بعد حروب وقلقل استمرت أكثر من مائة عام.

²⁶ - السلطان قلاوون المنشئ الثاني لدولة المماليك البحرية وأعظم شخصية بين المماليك بعد بيبرس، والسلطان المنصور قلاوون، وهو أبو المعالي سيف الدين السلطان الملك المنصور قلاوون الألفي العلاني الصالحي النجفي، وهو أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، والسابع من ملوك الترك وأولادهم بمصر، كان من المماليك البحرية قبجاق الأصل، اشتراه الأمير علاء الدين آق سنقر بألف دينار، فعُرفَ قلاوون بالألفي، ولما تُوفي الأمير علاء الدين انتقل إلى خدمة الملك الصالح أيوب الذي أعتقه سنة 647 هـ، ثم أقتله مواهبه وملكاؤه فبرز على الساحة، وقد كان قريباً من السلطان الظاهر بيبرس لذلك تزوج بركة خان ابن السلطان بيبرس من ابنة الأمير قلاوون؛ تأكيداً على رُوح المحبة والصداقة بينهما.